حاوره/ عبد الرحمان تبرماسين
ص ب 67 العالية نور07004
بسكرة الجزائر.
البريد الإلكتروني Daha_tiber@hotmail.com

الشاعـر الجزائـري عبـد الحميـد شكيـل لـ – عـمـان :

الكتابة التي لا تسبح في مياه الأنثى لا يعول عليها

يعد عبد الحميد شكّيل –(من مواليد1950/2/22بـ القل)– علم من أعلام "**النثيرة**" في الجزائر ورائدا من روادها بلا منازع. والوحيد الذي ظل دائم الإبداع والنشر، ولم تحد من عزيمته سنوات الإرهاب والتقتيل والتخريب، وربما اختفى آخرون أو استهوتهم الماديات وما شاكلها، أما هو فقد ظل دائم العطاء وفيا لنفسه ولوطنه ولإبداعه ولقرائه أيضا. فأصدر جملة من الدواوين في وقت كان الأديب أو الكاتب إن قال كلمة يتلقى رصاصة في رأسه. من دواوينه: قصائد متفاوتة الخطورة، تحولات فاجعة الماء"مقام المحبة"، مراتب العشق"مقام سيوان"، مرايا الماء "مقام بونة"، يقين المتاهة " مقام الشوق"، وآخر إصداراته: الحالات في عشق بونة 2006.

على هامش المهرجان الدولي النسائي الذي نظمته وزارة الثقافة في عاصمة الزيبان بسكرة النخيل في فيفري 2006 التقينا معه وكان هذا الحوار الذي دار على جملة من القضايا التي تخص عالم الكتابة والإبداع، والقراءة، وأنتروبولوجيا الجسد، وأسئلة الهوية، والحداثة ، والتصوف، وأشياء أخرى. لعل هذا الحوار يكون بوابة للقارئ العربي عبر مجلته المتألقة دوما "عمان"، للولوج إلى عالم المبدعين في الجزائر.

نص الحوار

- مـا الــذي يدفعــك إلى الكتــابــة ؟

- الذي يدفعني إلى الكتابــة، هــو الذي يدفعنـــي إلى الحيــاة.. الكتابة هي محاولة جمالية هابة لتسويغ الحياة، و الذهاب بعيدا، و عميقا من أجل تحقيق المعنى، و تحفيز الدال الإبستيمولوجي، وتوصيف اللحظة الأكثر إشــراقا، في تحولات الإنســان، و حيواتــه الضاجة بالكثير من الأخيلــة، و المعاني، و الأشيــاء التي تعطــل جاهزيــة التواصــل .. الكتابــة هي كشــط معرفي للعفونــة ، و الدنــاءة و القهر، و اقتــراب مجيد من روح الإنســان، و أحلامه، و أمانيه، و سعيــه الحثيث للعيش بعيدا عن طقس العتمة .. و ضبابية الرؤيــة، الكتابة بهذا المعنى تكــون هي الحياة في تجلياتها العرفانية، و تحولاتها العقلانيــة، و بروقها الحداثية، التي تطرح الكثير من الأسئلــة الحارقة، والجارحة، في سيــاق المعطى العام، الذي يعزز مدماك الحياة، و يعطيها سمت التواصل، و التناغم،

و التواشج، و المتعة الباذخة، تحقيقا لحق العيش، و التمتع بمباهج الحياة، و هناءتها، و نعميتها .. الذي يدفعني إلى الكتابة، هو الذي يدفع الكائنات الوجودية لتحقيق كينونتها، و شرطهـــا الحياتي والإنســـاني .. الكتابة من هنا تكون هي الوجود العيني المتحقق، و التواصل المبدع لتجميـــل قبح التشوهات الحاصلة في الذاكـــرة، و الوجـــدان، و هي التنويـــر المعرفي الزاهي لعتمات البياض القابع في أوجار الذاكرة، و أوجاعهـــا النازفة التي تهجس بالأخيلة، و التصورات، و الأحلام في عالم متغير وقامع .. بالكتابة أحقق أنطولوجية الذات و الإبداع، و أشيد عوالم من الفيض، و البهجة، و الفرح الغامر .. بالكتابة أتواصل، و أهجس في هسيـــس المرايـــا المحدبة و هي تتماهـــى في طقس العتمة لمحاصرة المقت الصارخ، و الزاحف نحو تدمير حدائق النور في جنات الكتابة التي هي الحيـــــاة.

– يقول بنيس: من الدم تأتي القصيدة، و تأتي القصيدة من الموت! و ما جاءت القصيدة من شاعر جزائري في التسعينيات من القرن الماضي كما جاءت رواية من الدم و الموت: "كبوح الرجل القادم من الظلام" لإبراهيم سعدي، و "بيت من جماجم" لشهرزاد زاغز ؟

- أعتقد أن القصيـــدة الجزائرية في تسعينيـــات القرن الماضي قد برزت من رماد الدم، و دم الرماد، إن إلقـــاء نظرة خاطفة على الدواوين و المتون الشعرية، التي كتبت في تلك الفترة، يعطيك الدليل القوي و القاطع على ما ذهبت إليه و أحيلك على مجموعتي :

"تحولات فاجعـــة الماء" التي تومض بالكثير من مفردات الدم، و الموت، لأنها كتبت في خضم تلك التحولات المأساوية التي كادت أن تعصف بالجزائر و منجزاتهـــا .. النص الشعري الجزائري منذ الثمانينيات يلهج بالكثير من مـــلامح الدم و سيمياء الموت و الدمـــار، و أنت تعرف أن مفردات القصيدة الشعرية الجزائرية – قبل الاستقلال و بعده – تمور بمثل هذه المفردات، و الصيغ التي جاءت كفضاء متخطف، و قائم فرضته الظروف، و أفرزتـــه الحالات .. الرواية الجزائرية – قياسا على ذلك – جاءت متأخرة في توصيف الدم و الموت والرعب، القصيدة الجزائرية تفيض بهذه المعاني الكريهة، لكن معضلـــة النشر و التوزيع القائمة، حالت دون وصول هذه القصيدة إلى المتلقي والدارس على حد سواء .. أكرر القول بأن مجموعتي " تحولات فاجعة الماء " .. هي توصيف مرعب و دال على حالة الدمار و الموت الذي عرفتـــه الجزائر في تسعينيات القرن الماضي، بل أزعم بأن القصيدة الجزائرية كانت تشير، و تحذر من الزلزال الكبير الذي هز الأركان، و كاد البناء أن يتداعى و يسقط .. لأن النظرة النقدية القاصرة، و الصيغـــة العاجزة لم يكـــن بمقدورها النفاذ إلى صميـــم الحالة، وتوصيفها،

و وضع البدائل و الحلول لتفادي تلك الحالة الدموية التي عصفت بالمتجمع الطيب، و كادت أن تذهب به إلى الجحيـــم .

– من أين جاءت قصائدك، و كيف كان لقاؤكما عند أول قصيدة ؟ هل راودتك أم راودتها ؟

- أول لقاء لي بالقصيدة، كان عام 67 إثر النكسة التي هزت الوجدان العربي من الماء، إلى الماء .. تلك النكسة الكريهة حركت في كياني مشاعر غريبة، و جعلتني أعيش حالة من التيـــه، و التوتر، والهيمان ! من هنا كان لقائي بالقصيدة في شكلها البسيط، أعني إفراغ هموم الذات و أوجاعهـــا في قالب شعري، بسيط ساذج و عفوي، لا يرقى إلى عتبات القصيـــدة الإبداعية المتكاملة، من هنا أقول : إن القصيـــدة كان لقائي بها محتدمـــا، ضاغطـــا، فجر الكثير من الجيوب التي كانت تحت قشرتها يمور الكثير من الماء، و الزقو، والصراخ الإبداعي الذي ما زالت نسوغـــه تتجلى و تلمع كاشطة الكثير من الغبار، و النقع الذي ران على الأمكنة و القلوب التي أوجعتها تلك الضربات القاسيـــة، التي أتت على ضفاف الجسد العربي الواهـــن ! إن الحالة الرمادية الناتجة عن تلك الهزيمة لا تزال توشح نصوصي إلى الآن ..

القصيـــدة تذهب إليها أو تجيء إلينا ليست تلك المشكلة، المشكلة الحقة كيف نبني هـــذه القصيدة ؟ وكيـــف نـــؤثث عمارتهـــا و معمارها؟ و كيف نجمل ما يحيط بها؟ و كيف نرقي بها إلى المراتب الإبداعية التي تجنبها حالات البهوت، و الشحوب، و الخواء، و العدمية و بؤس المعنـــى .. أنـــا أرى أن القصيـــدة هي مسكـــن الشاعر و خيمتـــه، و فضاءه الممتد على أكثر من صعيد، أو قل هي المفردة الآبقـــة التي نتعب كثيرا حتى نقتنص جمرهـــا، و يـــا قوتهـــا .. و الشاعر منا يظل طول تاريخه الإبداعي، و الحياتي يبحث عن القصيدة، القصيـــدة! لكن البحث يظل قائما، و الرغبة ملحة للقبض على المنسرح، و الآبق من القصيدة، سيكون السراب الأبدي الذي يقـــود إلى وطن القصيدة وأرضها مهمازا رامحا، و سنكون مزوديـــن بالرغبة و القول و البوح الجميـــل في ظل المعوقات الكثيرة التي قزمت المعاني و الأفكار، في سياق هذه الحالات الذابلـــة التي تحيط بنا من كل جانب، وتمنعنا من البوح و الصراخ في أقاليم القصيدة التي ستخرجنا من فلوات المتاهة إلى شساعة اليقين، والمحبة والأمل السعيـــد.

– أي جرح فيك عمق التجربة الشعرية الإبداعية، جرح الوطن و هو تحت نير الاستدمار الفرنسي، أم جرحه و هو يئن تحت سياط و دمار الإرهاب، أم هناك جرح آخر دائم النزيف لا نعلمه فتتسامى عنه ؟

- التجربة الإبداعية عندي جاءت جراء الحفر الثقافي و المعرفي الجاد و القاسي، عشت الكثير من الصعوبات، كان ذلك أثناء الثورة التحريرية الكبيرة (54-62) في جبال أولاد عطية وشعابها، وبراريها، و مسالكها الصعبة و القاسية، حيث كانت أسرتي مطلوبة، و مطاردة من قبل السلطات الاستدمارية، كان لزاما علينا أن نظل في هروب دائم، و لك أن تتخيل الآلام و الجراح التي تصاب بها النفـــس و هي مهـــددة في كيانها و كينونتها .. كانت التجربة مدماة، و قاسية، و ضاغطة فقدت خلالها أخي الذي يليني، عشنا التشرد، و الفقـــر، والمطاردة، من هنا جاءت التجربة تطفح بالجراح، والآلام و الكثير من المفردات التي تحيل إلى الحرمان، و قسوة الحياة و شظف اليومي، و قهره الناشب .. التحصيل الدراسي بدأ في سن الخامسة عشر .. كان مطلب العلم بعد الاستقلال مطلبا حياتيا و وجوديا، كنا نذهب إلى الكتاب في ظروف قاسية ومؤلمة، الفقـــر، والمسغبة، وقسوة الطبيعة، والجراح النفسية و العضوية التي خلفها الاستدمار الفرنسي نـــالت مني الكثير .. قـــال أحد الفلاسفة الفرنسيين ما مؤداه : " إذا كان الله قد خلق استدمارا أبشع من الاستدمار الفرنسي فإنه لم يخبرني به**!!**"

مـــا عمق التجربة الإبداعية – أيضا- هو الرغبة الواضحة و الجادة في التحصيل و المعرفة، كنا بعد الاستقلال جيلا متعطشا للعلم، و المعرفة، بل أن تحرير النفس من الجهـــل و الأمية كان مرادفا لتحرير البلاد من الاستدمار الغاشم .. من هنا كان الذهاب نحو تعميق التجربة، و تقويتها، و شحذ كل خصيصة تجعل القصيدة قادرة على الخروج من متاهها، و هي قويـــة و نابضة، تشي بـ**الإبداعية** ، و **الثقافية** ، و **الأدبية**، و كل ما يحيل إلى التجاوز، و التخطي المبدع، الإحساس باليتم المعنوي والفقدان العاطفي، و الحرمان القاسي الذي صاحب الحياة، و عمق مجراها و حفر أخاديدها في الوجدان، كان له النصيب الأوفر في مد التجربة بمقومات الحصانة ، و الثراء، و الإشعاع، أستطيع القول : إن العصامية، و التعويل على الذات كان العامل الأول و الأساس في تعميق خطية الإبداع، وما تزال هذه المقومات و العلامات تؤشر الدرب، و تذهب إلى المنافي و الجهات التي تشع فيها التجربة وتلمع مخلفة وراءها الأشلاء، و الكثير من سقـــط المتاع، و النثار الذي لا فائدة منه .. بالتأكيد هناك الكثير من الأشياء الكامنة تحت تربة الواقع و جغرافيته، هي الأخرى ساعدت على تعميق و توصيف المشهدية الإبداعية، و تقوية نسوغها، و مدها بزيت النار المقدســـة .. ما مرت به الجزائر في العشرية السوداء، عشرية الدم و الدمع و الاجتراح كان له الأثر الواضح و المميز في سياق التجربة وتحولاتها، **ما عاشته الجزائر تجربة قاتلة و قاسية** ، بل هو امتحان شديد و مهول خرجت منه الجزائـــر قويـــة، و مشعة و جذابة .. في دواخل الشاعر، و أوجاره الكثير من الأشياء و الحالات التي تتسامى به، و تدفعه في المجرى العام للحياة، و التجربة الإبداعية مما يلامس القلب من عواطف

حارة، و نبيلة، و ما يلوح في المثال و المقبل من الحياة، يجعله يمنح التجربة لونها الخاص و طقسها المتميــز.

الشاعر ذات متجددة، و ذاكرة هاجسه بالكثير من المعاني و الأفكار التي تظل في حالة من الغليان والتوتر، و الهيمان الحالم لتحقيق الشرط الإبداعي و تعليم الطريق النبيل نحو مدن الحلم، والمحبة، والنشدان .. من هنـــا ترى أن ترسيخ التجربة و تعميقها شاركت فيه مختلف العوامل التي لو يتفطن لها الشاعر و يعيها لضاعت منه **جمرة الإبداع**، و لتبددت الرؤية في شعاب المطالب والرغائب التي لا تستمر على حال، الإبداعية و تقويتها حالة قصية، لا يطـــالها التوصيف والمقاربة، بل هي حالة من التيـــه، و العشق، و التذكر النبيل الذي يجعل الحياة مسوغة، و مقبولة للتعاطي والعيش الجميـــــل.

– ما مدى تأثير الأنا القارئ ، و القارئ عليك ؟

- الأنا القارئ حالة وجودية، و أنطولوجية متواشجة، و دائمة الحضور، و متجلية في متون النص و دلالاته .. **الأنا القارئ حالة من القول، و الشتات الذي لا محيل عنه** أثناء العملية الإبداعية أخرج القارئ من طقسي و لا أذكره أبدا .. **أنا أكتب النص بعيدا عن ديكتاتورية القارئ و عنفه. تجويد النص، و شحن عتباته، و تقوية بنائه و بنياته، و مقاربة دلالاته، وإنارة ملافيظه، هو ما يشغلني أثناء الكتابة** .. الإخلاص للعملية الإبداعية في شرطها الإبداعي و النقدي الجاد، هو إخلاص لذات القارئ بشكل أو بآخر .. ليس من مهام المبدع الحقيقي أن يضع المتن و الحاشية .. لا أضع في اعتباراتي تلك المقولة النقدية الصفراء، "الجمهور يريـــد هـــذا " هناك جماهير من المتلقين أي جمهور تحقق معه وجودك، ووجوديتك الذاتية و الإبداعية على القارئ الحقيقي أن يرفع من قدراته وأن يتقدم بخطوات جادة، و مثقفـــة قصد الإلمام الواعي بالنص و تخومه، و الذهاب الجميل في مناخاته الحاملة للكثير من الرؤى، و المتع البصرية و الإبصارية .. إن التعويل على شروط المتلقي والقارئ أثناء الإبداع هو شرط قسري، و خارج مدونة الإبداع و ميثاق شرفه، و من يعول على ذلـــك – فاعتقد – أنه سيفقد لونه و إبداعيته، و سيظل في حالة من التيه و الزوغان القاتل .. إن إبهات النص و تفريغه من نسوغ الإبداع هو خيانة موصوفة للقارئ لا مشاحة في ذلك ..

– هناك شخصيات دائمة الحضور في إبداعاتك، تكون في الغالب عتبات نصية لمختلف نثيراتك إما إهداءا، أو تقديما أو حضورا في النص كـــ : النفري، الخليل بن أحمد، حازم القرطاجني، كاتب يسين، الطاهر جاووت، حيدر حيدر، ذو النون الأطرقجي، سان جون بيرس، و النظر لها

بمنظار أيديولوجي نجدها مختلفة الانتماء و موزعة على العصور ما السر في هذا الحضور الذي يثير قلق القارئ أحيانا ؟

- القارئ عندي مفردة حيادية في متن العملية الإبداعية، قلق القارئ، و حيرته، وتيهـــه حالة تخصه، و لست مطالبا بإحاطته بجو من الطمأنينـــة و الراحة و الهدوء .. **النص الإبداعي في مفهومي هو إرباك للقارئ و تحد له و امتحان حقيقي لمدى قدرته على التواصل، والفهم، والاستيعاب.** أنا أحترم القارئ المجد و المهتم و الذي يسعى لمقاربة النص، و محاولة الإحاطة بجوانبه الفنية و الإبداعية، القارئ العابر لأرض الإبداع و سماواته لا يعنيني أبدا، بل لا ألتفت إليه مطلقا، **لا أجامل القارئ و لا أتملقه بل أعمل على إرباكـــه و إدهاشه و خلخلة يقينياته البائســـة،** و جعله في حالة من الحيرة، و القلق، و المساءلة، و البحث، و التمكين له قصد فك شفرات النص، و إضاءة عتماته .. القصيدة عندي، أو قل النص الإبداعي هو حالة منجزة من المعرفة، و الثقافية المشفوعة بالرؤيوية المتبصرة و القادرة على الإضاءة و الكشف العارف، بعيدا عن الطمأنينة البلهاء و راحة البال الجوفاء التي تغتال في القارئ لذة البحث، و متعة التقصي المبهج .. حضور الشخصيات المبدعة و العارفة في نصوصي هو حضور جمالي و إبداعي، يجعلني في تواصل معرفي وجداني شفيف مع هذه الشخصيات التي هي علامات في حقولها، و إبداعياتها .. المبدع هو سائح بامتياز في عصور الثقافة و الإبداع.. هذه الشخصيات تبهرني بمعرفتها الحاذقة، و إبداعيتها المعتـــقـــة، وحداثيتهـــا، التي تتجاوز المقول و السائد، و تذهب قصد التأسيـــس لمقول جمالي و معرفي ينأى عن المتعاليات النمطية المتحجرة، التي لا تقول ما يستحق الانتباه و الذكر الحسن، الأيديولوجية حالة عابرة .. **لا أحبذ البقاء طويلا في خيمة الأيديولوجيا** .. لأن هناك أيديولوجيات كثيرة، و التعايش معها صعب، بل هو ضرب من المستحيل .. أنا آخذ ما يقال، و لا أنظر إلى من يقول .. الشخصيات الآنفـــة عاشت في أصقاع، و بيئات، و أيديولوجيات، علاقتي بها إبداعية، معجبا برؤيتها و حدسيتها، و تواصل المبدع مع حالات الإبداع و أشكاله صفة حميدة بل و محبذة .. الأيديولوجيات لا تحقق الكتابة، و لا تمنح المبدع الفاشل تأشيرة الدخول إلى مناطق الإبداع الحقيقي قل لي ماذا تقرأ أقول لك، ماذا، و كيف تبدع ؟.. حداثة النفري تفوق بكثير الحداثات المعاصرة، التي اعتبرها وجهات نظر تمتح تنظيراتها، و مقولاتها من الإرث الإنساني خاصة الإسلامي، و الصوفي منه بصفة ملحوظة، عندما أقرأ ابن عربي أشعر أنني ألـــج عوالم بديعة، خضلة، و قصية تفيض بالبهجة، و السعادة، و العرفان الذي لا حدود له .. إن قراءة الإبداعية الصوفية، و سبر أغوارها الإبداعية و الفانتازية، و الكشف عن حداثيتها المبدعة سيجعلنا نعيد اكتشاف الذاتية العربية الإسلامية المبدعة في معارجها العارفة،

وتجلياتها الماجدة التي ابتعدنـــا عن مساراتها الغنية و المبهجة، و المشعة .. إن الشخصيات الثقافية السابقة، أستطيع القول: إنها تشكل لي مظهرا و ظهيرا جماليا قويا، يمكنني من إثراء العملية الإبداعية، و صياغة مفرداتها، و شحن ملافيظها بما يوائم التطور الحاصل في السلسلة الإبداعية، و النقدية المعاصرة.

– بين فاجعة الماء، و تنميقات الصهد الراجم يتمزق عبد الحميد شكيل لأنه يشتهي أن يشتهي لكنه ممنوع من الشهوة ، و الاشتهاء، و من كل قول يفك إسار هذه البلاد ؟

- الكتابة شهوة الذاكرة ، و ميسمها الذي يفجر المسكوت عنه، و يؤشـــر للدروب الطويلـــة، و المسالك الوعرة التي تقودنا إلى مواطن الأمل، و الطمأنينة، و الإسعاد .. بين ما نريـــد، وبين ما يراد لنا ثمة مسافة فاصلة تمنعنا من الذهاب المبدع لتأسيس المدن التي نحب، والأماكن التي نرغب والمرايا التي نود أن نرى من خلالها الأشياء في تحولاتها الأخرى .. لكننا – حقا – ممنوعون، ومحاصرون، و مستهدفون، و مستباحون .. لكن علينا أن لا نهادن و لا نترك الأسلحة، بل على الكاتب الحقيقي، أن يظل شاهرا قلمه من أجل تكريس قيم : الخير و المحبة، و التسامح، و السلام، لأن ما تحققه هذه القيم هو ما يجمل الحياة و ما يجعلها مستساغة، و ممكنة العيش .. في عالمنا العربي نعيش الفاجعة، في الفكر و الممارسة والوجدان .. إن الفرح و مشتقاته هو ما ينقص هذه الأقليات المبدعـــة، التي تعيش واقعها المأزوم و المحاصر، و سنظل نرنوا و نتطلع إلى نوافـــذ النور حتى ينقشع الصهد، و تذبل نبتة الفاجعة، و يفك إسار القول المشتهى، و تغني الطيور أغنية الوفاق والأمل المشظى، وتعود النوارس المهاجرة إلى موانئها و شواطئها، و جزرها الأخرى المسكونة بالقتلة والشريرين .

– ما دمنا في حالة الاشتهاء، فأنت تشتهي أن تفاجئ الفجر يتعرى محتضنا وردة عاشقة، كاشفا ألق الرؤيا في صهد قبلة مستعجلة ظامئة. ما علاقة الكتابة بالجسد، و ما هو دور هذا الأخير في تفتق الرؤيا؟ و هل الجسد رؤيا ؟

- الكتابة خارج الجسد، و مفرداته هي صيغة منقوصة، و لا يمكنها أبدا أن تؤسس صياغتها الجمالية، و الإبداعية .. الجسد معطى و كيان كتابي له خصوصياته، و أقانيمه، و جغرافيته، ومناخه .. نحن نتعامل مع الجسد تعاملا شائنا و قمعيا، في ملمح الحضارة العربية الإسلامية يظهر الجسد مضببا تتماهى لغته، و مفرداته و تضمر سيميائيته، **الجسد هو اللغة الحية التي تسكن مفاصل التراث الإنساني كله** .. كل الديانات و الحضارات تعلي من شأن الجسد و أنطولوجيته، الشعر العربي قديمه و

حديثـــه يحفل بالجسد و يتغنى به، لكن الذاكرة المقموعة و المأزومة تعمل بكثير من الاحترافية على قمع الجسد، و التضييق على طفولته الحالمة .. لا يمكن بناء أو ازدهار حضارة خارج كمونة الجسد و طقسه .. الجسد هو رؤيا الإنسان الكبرى، هذه الرؤيا كثيرا ما نعمل على تغييبها لأسباب و تعلات هي في حقيقتها غير صحية، بل هي قمعية، تسلطية .. ضد رغبة الإنســـان و حياته .. الجسد في نصوصي هو مقول الوقت، و فاتحة الكتابة، و درب المستقبل ما يتم خارج الجسد و في غيابه، يكون منقوصا من جبلة الحياة و طبيعتها .. الاحتفاء بالجسد و كونه هو احتفاء بالحياة و أسسها الأخرى .. علينا أن نعيد للجسد حضارته و رونقـــه، و إشعاعه. الثقافة التي تستهدف الجسد ومكوناته هي ثقافة صفراء، و نشاز، لا يمكنها أن تحقق المعنى الإنساني و المطلب الوجودي الذي خلق الإنسان من أجله .. " **الجسدانية الحيوية** " **هي مهاد نصوصي التي تسعى للذهاب نحو معنى الحياة،** و تحقيق المعنى الذي يتبدى في مخيال الإنسان الباحث عن أصله ومصيره .. علينا أن نخرج من خطية إدانة الجسد في سرنا و علانيتنا، و أن نخرج من غبارها لنذهب في يقين تـــام نحو مرابع الجسد، دون خجل أو مواربة ..

– الماء، المقامات كل دواوينك يتسرب منها الماء بل يتفجر إلى حد الفاجعة كـــ ديوان: "تحولات فاجعة الماء"الذي صدر قبل حادثة تسونامي، و ديوان "مرايا الماء .." كما للمقامات مقام في دواوينك مثل : مقام سيوان، مقام بونة، مقام المحبة. فأين نحن من هذه المقامات .أهو مزج بين المقام كمفهوم صوفي أم كمقام إيقاعي في الفن أم أنك تقول : إن الفن هو التصوف ؟

- الماء عندي مرادف لمعنى الحياة، بل قل هو أمل الحياة، و وجودها بل هو الخلق، هو البداية و النهاية، خارج طقس الماء و كونه لا حياة، و لا وجود .. أنا ولدت في بيئة مائية، النبع و النهر والساقية، البحر كان يلوح لي من بعيد مستلقيا في رحابة وادي الزهور، صوت الماء أقصد خريره كان هو الموسيقى التي تتردد في الوسط الذي أعيش فيه، ثم أن الحديث عن الماء، هو حديث عن الحياة و الموت و كل ما يرتبـــط بالوجود الإنساني المتحقق، الاحتفاء بالطبيعة و مفرداتها في إبداعنا يكاد يكون منعدما، أعني أنه غير مكرس بالقدر المطلوب، الجزائر –كما تعرف– لوحة ربانية ساحرة، تحتم عليك أن تغرف من مفرداتها ما يزين نصـــك الإبداعي، و يجعلـــه قابلا للتحول و الاستمرار. للماء في المصطلح الصوفي، والميثيولوجي و الديني الكثير من المفاهيم، و التأويلات. و يحيل إلى معاني الخصب، والحياة .. ذهابي في إبداعية الماء، محاولة جمالية لكتابة نص موشح بالزهو، و الخيلاء، وفرح الطبيعة التي تحفل بمعنى الخلق، و الجمال، و المتعة .. المقامات باعتبارها

مدارج ومراتب و معارج للسمو و البهاء، و الخطف و الهيمان .. فهي توظيف أنطولوجي، قصد التسامي و السحر، و إعلاء شأن المعبر عنه، و شحنه بسيميـــاء الصيغ، و الدلالات، أو قل هي مقامات النفس و مرابع الذاكرة، و هي تصاعد من غبنها، و سحقها لتبدع وجدها، و حبها لتجمل التشظيات الجارحة و تمنح اللغة ماءها و رواءها لتبرر وجودها الهاجس، في سياق تنامي هذا الجفاف، و تلك اليبوســـة التي تشرنق مفردات الحياة، و تجعلها أكثر إيلاما وإيغالا و قسوة التصوف –عندي– صيغـــة بلاغية و إبداعية غير متناهية، تفجر في الإحساس السامي بالحياة، و تجعلني أتماهى في معراج الجمال، موحدا و متوحدا، و ناسيا كل شيء سوى الذات الإلهية المقدسة، و ما أسبغته علينا من حياة نعمية، و متع لا تنتهي .. في التصوف شعرية و رؤيا حدسية، استشرافية بهيـــة، باذخة، إلهامية، كلما اقتربت منها خلتني أطير فوق قمم الجبال، و أسبح في المهاوي و أنشد نشيد الأبدية الخالد، فيتم السمو، و أشعر باللذة ، و المتعة و الـــلـــذاذة ..

– نعود إلى النثيرة. أنت تكتب شعرا لا هو خليلي و لا هو تفعيلي أي أنت تكتب ما يسمى بشعر "النثيرة" على أي سند تقوم النثيرة عندكم ؟ أي ما هي أعمدتها التي تهبها صفة الشعر – دعنا من الوزن و التوازنات الصوتية– في نظركم ؟

- الإبداعية الحقيقية تنأى عن التصنيف، و تذهب عاليا في المماحكة، و المشاكسة و الحفر و الاستكناه، و إحداث الهزات التي تفجر احتقان اللحظة الإبداعية، ساعة دنوها من تخوم القول وميقاته، و تشظياته، الإبداعية مرتبطة بالحدس و تحولاته، و صياغاته التي تخرج عن سياقات المعنى الذي وضع لها كيما تربك، الفاعلية الإبداعية، و تقزم لهبها الهاب، وشواظها العالي "النثيرة" – كما أسميتَها – تقوم على زخم المفردة و ثقافيتها، و تراثها الحافل، أعني أن هذه "النثيرة" تنخرط في شرطها الإبداعي و القومي دون أن تكون محكومة أو منضوية تحت سلطة الفرمانات الكتابية التي تكتظ بالمحرمات التي تقصي الإبداع، و تعطل حرية الكتابة و الفكر.. " النثيرة " من هنا هي اشتغال جمالي منجز على جسد المفردة و تراثها و طقسها توصيفا و تلطيفا، و تكثيفا للحظة القسرية الهابة من تخوم الذاكرة و مروجهـــا ، و هي تحتلب الخيال، و تلتقط اللمع الذي يجيء من الأماكن و الأشياء الأكثر إيغالا و حفرا في النفس و أشجانها .. الكتابة على شروط الماضوية، و مسطرتها شيء لا أحبذه، لأن ذلك يتنافى مع حركية الشرط الإنساني و تطور الذاكرة الإبداعية التي من الصعب وضعها في أقفاص لغوية، و أيديولوجية خانقة .. النثيرة الناجحة هي التي تشيد أعمدتها، و مقوماتها، أي أنها تنهض من رمادها، و هي لامعة، و مشعة، و حيوية، و منفلتـــة لأنها تتوفـــر على رمادية المنجز الإبداعي في سياق التحول الثقافي، و المفصل الحداثي الذي شمل العلوم و الفنون و الآداب ..

النثيرة –الحقة– هي التي تصنع فرحها، و ألقها و امتيازها الآخر يتحقق ذلك من خلال الحذق الإبداعي، و النعمية الثقافية، و اللهب التراثي، **إن النثيرة في مفهومها العام تعمل ضد الخواء،** وتقاوم العدمية الإبداعية التي تعني الركون الفاعل إلى مناطق المهادنة ، و السلم البائس .. أزعم أن هذه الأعمدة، و المرتكزات هي التي تمنح لأي عمل إبداعي ركائزه، و مصائره و رؤاه التي تجعلـــه في منـــأى من القحط، و البؤس، و الموت الأكيد ..

– النثيرة مرتبطة بالأيديولوجيا و الأيديولوجيا ماتت بموت الإتحاد السوفياتي ما رأيك ؟

- الأيديولوجيا لا تموت، و لكنها تأخذ أشكالا، و أحوالا مغايرة تبعا للمتغيرات، و المسارات و الأوضاع و الهيمنة .. **عدم الكتابة تحت سقف الأيديولوجيا هي أيديولوجيا أخرى،** تخلق مقوماتها، و شرطها الآني و المستقبلي .. الكتابة التي ترتبط بالأيديولوجيا و سدنتها، لا تقاوم منطق التاريخ، ومقول الحياة .. النثيرة هي أيديولوجيا ملتزمة بشرطها و شروطها، ومنخرطة في الشأن الإبداعي، دون الوقوع الباهت في شبكات الأيديولوجيات المسماة .. النثيرة هي التي تحقق أيديولوجيتها، و تدعو لها في ظل القائم من الرؤى والأفكار والتوجهات و المتغيرات الحاذقة .. المبدع الحقيقي هو باعث أيديولوجيته، و منظرها الأول، كل الكتابات الإنسانية الخالدة، هي ما كانت متواشجة و لصيقة بالهم الذاتي و العام دون أن تقع في وهم الأيديولوجيا و تراثها، لأن الأيديولوجيا الحزبية في حقيقتها قيد معطل للإبداع، و الإبداع طلق في وجه السديم، و الإحباط، و المـــــــوت..

– هل تكتب النثيرة لترضى نفسك أم لترضي تيار الحداثة؟ كيف ذلك؟

- الكتابة تحت الطلب محرقة حقيقية للإبداع و المبدع .. أكتب النثيرة لأنها تمنحني الكثيرة من المتعة، و تجعلني في تواصل دائم، و مماحكة متواشجة مع معطى الذات الذي أراه يغيب كثيرا في نصوص الآخرين .. الكتابة في حقيقتها، و تحققها المنجز، هي تعبير عن الذات، و للذات و بالذات وما سوى ذلك فهو محاولة لتقويض مدامك الذات و جمالياتها، على اعتبار أن الذات المعبر عنها، هي الذات الباحثة عن أفقها الإبداعي، و أنطولوجيتها المبهجة، التي تمتح تحولاتها، و ظلالها من غنى الذات و أصالتها المؤثثة بخصب الخيال، و صفاء الذاكرة و صدقية الحدس .. الحداثة تأتي من خلل التعامل المبدع مع النص، و شحنه بالطاقة الإيحائية، و التعبيرية القادرة على الشطح، و الرسو، والإطلالة البهية على ضفاف الحداثة .. كتابة " النثيرة " لا تعني بالضرورة الانخراط المعلن في تيار الحداثة، النص الكبير، و المتميز هو ما يحمل حداثته في تركيباته و بنياته، و شفراته و ثقافيته وأدبيته

.. النص الكبير هو الذي تستدعيه الحداثة و تحتفل به، الحداثة ليست حديقة عمومية، أو متنزها يدخله كل من يتوفر على تذكرة مدفوعة الثمن، **الحداثة انخراط واع في العمل الإبداعي، و حفر عاشق في أقاليم اللغة و محمولات الإبداع و محولاته،** و صيغ متناغمة مع المتغير و الثابت في كدح متميز، وعشق قاصم لا تنفرط عراه و لا تتـــبدد ذراه، و لا تخور قواه، و لا تبهت بناه .. كلما قدحت زناده، توهج ألقه، و ارتفع لهبه البـــاذخ ..

- هلا خرجت من النثيـــرة إلى الرواية ؟

- أنـــا مخلص لكتابة الشعر، و السياحة في جناته، و جحيمـــه. الذهاب إلى حقل الرواية، وضروبها للحقيقة لم أفكر فيه أصلا .. أنا أكتب الرواية من خلال النص الشعري .. الذي هو عبارة عن مدارات، و مرجعيات، تحتاج إلى جهد موصوف للكشف عن أصولها و ثوابتها، ومقولاتها .. التنقل بين أجناس الكتابة و حقولها، قد يضر بالضخ الإبداعي و ألقه ..

- هل جربت كتابة الشعر العمودي، و كيف كانت التجربة ؟

- بدايتي الشعرية كانت عمودية، و لكنها لم تدم طويلا، لأسباب نفسية، و ذوقية و ثقافية .. الشعر عندي هو الشعر سواء كان عموديا أو غيره، و جدت منطلقي من خلال النثيرة التي وفرت لي المناخ الذي حفزني على التحليق بعيدا. و إن كانت الرحلة متعبة و قاسية .. الشعر في مقولي لا تحكمه الأوامر، و لا تقيده النظريات –على الأقل كما أرى– و من هنا فإني أزور جميع الأماكن، وأهبط في كل المطارات .. الحالة الشعرية هي ما تجعلني انخرط في الأجواء العامة و المختلفـــة ..

- تحضر الطبيعة بكل ما فيها من بحر و شطآن و أمواج و وهاد و غابات و أشجار و فلوات في شعرك و تغيب الأسطورة. ألا تتعجب؟

- الطبيعة و عناصرها، بل قل و مفرداتها، حاضرة بل و متجلية في كل النصوص التي أكتبها هذه المفردات، و العناصر و العلامات تمنحني الكثير من الغناء، و التنوع، و الزخم الذي يعطى للنص محفزات الألق و الجذب. و يعطيه دفقا من التشبع، و الرواء .. **أنا أعمل على أسطرة المكان والأشياء،** لماذا دائمـــا نذهب إلى الأسطورة العامة، مادام هناك البديل الجمالي و الأسطوري الخاص الذي يعوض ذلك، بل يتفوق عليه في الكثير من المرات خاصة إذا أحسنا التعامل مع ما نعبر عنه ..

الأسطورة و التعجيب هو واقعي الحزين والمأساوي الذي هو أمامنا لكننا نغفل عنـــه، و نذهب إلى غابات و مزارع الآخرين، و في حقولنـــا و أرضنا ما يكفي من الهواء، و الماء و القرنفـــل و الحياة .. ألا تتعجـــب ؟!

– الأنا و صراع الذات و تمظهر الآخر و محوه قضية شائكة بالنسبة للمعربين في الجزائر فلحد الساعة موقفهـــم سلبي في نظري بالنسبة للهـــوية و خاصة الأمازيغية، و كأني بهم لا يقرؤون التاريخ و لا يعرفون أن الدولة الحمادية هي دولة أمازيغية إسلامية كانت تحكم أرض الجزائر و من عليها. ما قولك ؟

- فعلا هذه القضايا، و ما يتفرع عنها يلقى بظلاله، و أطيافه على الكثير من المواقف، والرؤى، التي أزعم أنها تحتاج إلى نقاش واسع و شامل و متزن، و عقلاني " المعربين " تعبير لا أستسيغه كثيرا لأنه يحمل في طياته نيات غير حسنة، **أفضـــل استعمال لفظ المثقف الجزائري الذي يعبر باللغة العربية** .. المعرب، **و المفرنس صيغة غير بريئة أطلقتها بعض الدوائر المشبوهة لخلق صراعات وهمية بين الجزائريين** هذه الطروحات و النزوعات غير مكرسة في تونس و المغرب التي مرت بظروف متشابهة، أو قل هي غير متجذرة بالحدة، والشراسة التي عليها بالجزائر، الهوية الجزائرية في عمومها، مستهدفة و الكثير يسعى لتشويهها، و التشكيك فيها، بل و إخراجها من مجالها العربي و الإسلامي .. الأمازيغية هي مكون أساس من مكونات الشعب الجزائري عبر تاريخه الطويل، و لا يحق لأي جهة أن تزايد عليه، فطاحلة اللغة العربية في الجزائر في القديم و الحديث هم أمازيغ يعتزون بهذه اللغة و يعملون بجهد واضح على ترقيتها و العمل بها .. من هنا أزعم أن طرح المسألة الأمازيغية في الجزائر بين الحين و الآخر، هو طرح يشتم منه ريحا كريهة لا أحب أن تقوى، لأنه يراد من ورائها أشياء، قد تعصف بالبلاد و مستقبلها .. **لا أعتقد أن هناك عاقلا في الجزائر ينكر الأمازيغية، و ثرائها، و مقوماتها، بل و ضرورة ترقيتها** و العمل بها كمكون وطني هام يغني و لا يقصى ..

– في ديوانك " تحولات فاجعة الماء " جمعت بين الفرنكوفوني، و الشيوعي، و الغربي، والعربي، و الأمازيغي، و المعرب. هل نفهم أنها دعوة للسلم، و السلام، و المحبة ، والتواصل بين الثقافات و الحضارات، و الأديان و الحوار؟ كيف ذلك ؟

- تحولات فاجعة الماء يحمل عنوانا فرعيا هو " مقام المحبة " بما تحيل إليه هذه الصيغة في تحولاتها، و انزياحاتها .. الكتابة الشعرية –عندي– هي دعوة للمحبة، و السلام ، و الخير، لا أعتقد أن هناك شاعرا حقيقيا و أصيلا يدعو من خلال شعره إلى الكراهية و الحقد و الظلم – اللهم إلا إذا كان مريضا – و من هنا، فإني لذلك جمعت بين هذه الأقليات المبدعة لأحقق المحبة، و أدعو لها، بعيدا عن الصراعات ، و الحروب ، و التطاحن الذي يؤدي إلى تدمير الحضارة الإنسانية التي علينا جميعا أن نسهم في بنائها و تقوية أسسها .. **في تحولات فاجعة الماء –مقام المحبة– حوار مسبوق بين هذه الأطياف، و التيارات، و الثقافات، و التوجهات، لإنجاز التقارب بين المختلف وصولا إلى المؤتلف. تحقيقا للسلم و المصالحة**، و المحبة التي علينا جميعا أن ننخرط في سماواتها، إذا أردنا أن نواصل الحياة، و العيش معـــا .. محققين مقولة : العالم يسعنا جميعا، علينا العمل المشترك لتقويض الشر، وقهر الكراهية ، التي هي نبتة سوء، لا تثمر سوى الزقوم و الغسلين.

– دعاة المشرقية في الجزائر يدعون أنهم حماة العربية و أنصارها في حين أنهم لم يقدموا للمبدع باللغة العربية – شاعرا، أو قاصا أو روائيا – أي شيء و يدعون أن النص الجزائري بعيد كل البعد عن الإبداع، بينما نجد كتاب النثيرة في الجزائر كإدريس بوذيبة و شكيل لا يقلون شأنا عن إخوانهم في العالم العربي، و نفس الشيء نقوله عن الشعراء الذين يكتبون القصيدة الجديدة كـــ : عبد اللـــه العشي، و عثمان لوصيف، و أحمد عبد الكريم، و عاشور فني و الأخضر فلوس. لهم تجارب ناضجة كما للروائيين الجزائريين أعمالا بلغت العالمية. ما تعليقك ؟

* المثقفون باللغة العربية في الجزائر – في غالبيتهم – معادون للنص الإبداعي الجزائري، سواء كان شعرا أو قصة، أو رواية .. الأسماء التي ذكرتها – فعلا – لها حضورها الدائم، و تميزها الموصوف، و سمتها المعروف .. لكن التقصير حاصل، و متحقق على أرض الواقع، الكثير من الذين يتعاطون النقد، يعزفون عن النص الإبداعي الجزائري، أرى أن ذلك مرتبط بحالة نفسية، أو قل عقدة نفسية تجاه هذا النص الناضج و المكتمل، و المؤثث، و الحامل لزخمه الدال و جاهزيته التي تشع .. المسألة و ما فيها – كما أعتقد – ناتجة عن قصور الأدوات الإجرائية و الخوف المسبق من التعامل المباشر مع هذه النصوص العذراء التي لا تزال غير مكتشفة، و هم يفضلون التعامل مع النصوص التي قتلت بحثا ودرسا، لأنهم يجدون راحة، و طمأنينة في النصوص التي استهلكت، و لم يعد للنقد ما يقول فيها .. أما النصوص الجزائرية الجديدة، و المثقفة، و الحاملة للإبداعية العالية، و الجاهزية الباذخة، فإنهم يتحاشون الاقتراب من تخومها، و أرضها لأنها بكل موضوعية، تفضح ضحالة أفكارهم، و تكشف بكل جلاء، عن قصور، بل و عجز سلتهم النقدية على ولوج جمالية هذه النصوص العالية، و الكشف عن

بنياتها، و مقاربة خطاباتها، و تفكيك شفراتها، و قراءة متونها لأنها نصوص الحداثة و التجاوز المبدع. و ما جاء في أفق التساؤل صحيح جدا .. بقي أن نقول إن الناقد الجزائري الجاد و المثقف عليه أن يقترب من هذه النصوص، و أن يتعامل معها، تعاملا حضاريا و نديا .. بعيدا عن "الفوبيا" النقدية، وحالات العصاب البائس ..

- هل تعاني من الرقيب المضمر و المعلن؟

- الكتابة –عندي– تتم خارج كمونة الرقابة المضمرة و المعلنة.. لأن الكتابة التي تنجز تحت ظلال هذه الرقابة –حتما– ستكون كتابة هشة، و هزيلة و محتواة، بمعنى آخر تكون كتابة غير مخلصة، و من ثمة تسقط في النمطية، و النمذجة و الخوف، و لا يعول عليها في القول الإبداعي والإفادة الجمالية .. في الحقيقة **لا توجد في الجزائر رقابة على الإبداع، إلا ما يعمل البعض على إحداثه، و إثارته لغايات، و أهداف معينة، نحن نكتب بحرية تامـــة، و لا نلتزم إلا بما نعتقد أنه يقوي العملية الإبداعية، و يسهم في بلورة جمالياتها** .. و من هنا يجيء ذلكم الملمح الذي يميز النص الجزائري عن بقية النصوص العربية، التي تشعرك بأنها كتبت و أصحابها تحت عين الرقيب وسلطتـــه .. الرقيب الذي أعانيه هو رقيب أخلاقي داخلي، دائما يحثني على المزيد من الإبداع الحق، في ظل الحرية الإنسانية، و الأخلاقية، التي تسند الإبداع، و الإبداع فقط ..

- بين الفلوات و المدينة مسافة تربك الذاكرة قد تكون هذه المسافة امرأة آمرة قف/هذا أوانك، شد المقابض، فك المغالق، خذني بقوة الماء، اخترق قهر جسدي أقم فيه، اجعله وثنك، انهض من غفوة الروح، غفلة الوقت الذي أتعبك، أزل كلف النفس المجللة بالغبار، حرر وهج دمك المندمج بغلمته، داعب رغائب جسدي، إني منهكة الروح..من تكون هذه الصافية كعين الديك اللامعة كفقمة؟

- الكتابة خارج خيمة الأنثى، و ملاعبها الرحبة، هي كتابة منقوصة من الوهج، و اللمع، و الجذب الجميل، المبدع الذي لا تنام في جوفه أنثى، جثة تتحرك، الأنثى في كتاباتي لازمة هابة، ومحور دال، لأنها الذات الأخرى السابحة في الفلوات القصية، فلوات الروح و الذاكرة، يقول الإشراقي الكبير مولانا محيي الدين بن عربي: "المكان الذي لا يؤنث لا يعول عليه " و يمكنني القول قياسا على ذلك، **الكتابة التي لا تسبح في مياه الأنثى، كتابة لا يعول عليها**، إن أكثر المفردات في اللغة هي مفردات بصيغة المؤنث، من هنا أرى أن الكتابة عن الأنثى، و بالأنثى، و للأنثى هي صدق الأنا، وهجس المخيال، و توقد الحدس، و سياحة نعمية في أسطورة الذات، و ذات الأسطورة .. حقيقة

وصدقـــا لا أستطيع أن أقول لك من هي تلك التي أخرجتني من ضباب اليومي و سديميته، و أسكنتني جناتها أو جحيمها .. لأنها متماهية و ملتبسة في نصوصي، إنها دمي و نفسي و كل ما يدور في مدار الذات، و خلوتها، و هي تخرج من عطن مشيمتها، باحثة عن أفق جميل و مشرق، يبهج الروح، ويخصب الذاكرة، و يجعلنا قادرين على تحمل شعث الحياة، و قسوة يومياتها .. الأنثى –عندي– هي اللوح، و الأس الآخر، الذي أكتب من خلاله بؤس الذات، و هيمانها، و بوحها المحاصر بكل هذه الفظاعات، و التشوهات، و الخيبات التي تقهر وهج الروح، و تسمل رؤى الذاكرة، و هي تبحث عن فرحها، و خلاصها، و شوقها الجارف، الباحث عن الأماكن الأليفة و الجميلة، و القريبة من مواطن الأمل، و المحبة، و الجلال .. الكتابة عن الأنثى و للأنثى هي ترطيب ناعم لجفاف الحياة و يبوسها القاتل، في مهاوي الأزمة الجارحة، و المؤذية .. أكتب عن الأنثى فأنا إذن أكتب عن الحياة .. **هي كوجيتو الوجود و العدم**، و لا فكاك من ذلك أبدا، و هل لنا سوى الغناء، و الإنشاد في متسع فلواتها القريبة، و القصية، يدفعنا الحب، و الرغبة في الحيـــاة، و مواصلة البناء الآخر لتشييـــد مدن : الحلم، و المعنى، و الخلاص المبهج ..

– عنابة، أو بونة هي عشقك المتنامي الذي لا يجارى و حيدر حيدر صديقك القديم قال عنها: مدينة تكره الغرباء، و قال أيضا : تلك هي بونة مدينة الحزن ، و البحر، و الخوف ، و الحب، و الذاكرة، ألا ترى ذلك تناقض بين الكره و الحب و هي التي احتضنت " عليسة الفينيقية" ؟

- و قال عنها حيدر حيدر: " تلك هي بونة المضيئة " .. عنابة أو بونة التاريخ، و العراقة، و السموق .. مدينة مشمولة بالعناية الإلهية، مدينة محاطة بالأسرار و المزايا، لها صلحاؤها، وعلماؤها، و مريدوها، و عشاقها، و مجانينها، إنها المدينة التي لا تحدها حدود، و لا يحتويها وجود .. هي شيء يشبه السحر و الخبال، و القتل، و الغبطة .. و المتاه الجليل .. عنابة روح دمي، و بوح فمي، لها امتداد روحي في كتاباتي، و متجلية فيها كمحور لا يغيب. لأن لكل كاتب مدينته، و أن يشرفني أن تكون بونة مدينتي على مستوى الذات، و الإبداع، ذلك يأتي من ارتباط نفسي، و وجداني .. مع هذه المدينة التي منحتني الاستقرار النفسي، و جعلتني أمشي في شوارعها رافع الرأس، طلق المحيا، أملأ ذاكرتي بشموخ نسائها البهيات .. أقصد البحر أسرح البصر، أجمع الشتات، و أنشد للذين سيجيئون المدينة، يشدهم الحنين، و ما ترسب في الذاكرة، من فتنة المكان، و تجربة الذات العاشقة .. كل الذين مروا، أو أقاموا **بعنابة** فتنتهم و أراقت دمهم على الصفحات البيضاء فكتبوها نصا جماليا موشى برذاذ الذات، و فسحة الروح .. الروائي العربي الكبير : **حيدر حيدر** مجدها في روايته الشهيرة " **وليمة لأعشاب البحر** " على الرغم من اللغط و الشنآن و الغلو الذي أثير حول هذه الرواية التي

قرئت قراءة غير عقلانية. و مفصولة عن السياقات و التمفصلات العامة للرواية التي تتحدث عن قضايا مخصوصة، و مسماة، و تجري أحداثها في مدار تحولات واضحة عرفتها الجزائر و المنطقة العربية .. آه يا للمدينة الطاووسية التي سفحت دمي على كورنيشها الجميل، و قيدتني إلى صخورها العالية و جعلتني ألهج بالأشعار الأضداد .. أسمي الموج هديل الريح، و صرخة الأبعاد، و مشـــاتي النفس المجلجلة في هزيم الريح، و هجرة الأحبة. آه ! يا مدينة القلب ! كيف أطير عصافيري خارج جغرافيتك الآسرة! بونة في النص المطلق، و الخيال البهيج فضاء من الخيالات و الرؤى، و التوهج، الذي يربك الذاكرة و يشوش رادار الوجدان، لأنها ببساطة مدينة مفتوحة على الفتنة، و الغواية و الصد هذه المتأتيات لها في الجذر التاريخي، و النفسي للمدينة امتدادات، ما يجعلها متحققة في البعد النفسي والاجتماعي .. لأن الذين يعيشون في المدينة تكون رؤيتهـــم أكثر وضوحا و إشراقا، ربما تكون قسوتنا على هذه المدينة، منسجمـــة مع سلوك الإنسان المبدع، في تعاطيه مع فضاء المكان، بما هو عليه من انزياحات نفسية تجعله قلقا، متوترا يرش المدينة بما تفيض به نفسه من وهج و نار هي محصلة تفاعله مع الذات و المكان، و هل لنا أن نكبر خارج هذه المدينة؟ و من ثمة فإننا لا نقسو على بونة، بقدر ما نحترق، و نتألم و نحن نراها تتعرض لطعن الغوغاء، و سديمية الدهماء في هذا الزمن الصعب .. لعنابة : دمي، و روحي، و ما يجيء من مقام القربى !..

إن حبنا لعنابة، أقصد بونة الجميلة يجعلنا نتواصل معها في أحزانها، و أفراحها، مندمجين بصخب الشارع، و حذلقة البشر، الذين شوهوا المدينة التي نحبها كدمنا .. يمكنني أن أسمي بونة مدينة: الأمل، و الحب، و الذاكرة لأنها امتداد للبـــر و مفتتح للبحر، و سماء زرقاء صافية مشرعة باتجاه الريح، و الشمس و المدن الأخرى .. لقد قال عنها الكاتب الكبير ألبيـــر كامو: " **إن مقابر بونة تمنح شهية للموت !!** " و قال عنها حيدر حيدر: " **إنها مدينة الحب، و الموت، و الذاكرة !!** "هذه هي " **بونة المضيئة** " التي تفتك بكل من يزورها، و يندمج بألقها الهـــاب، من أزمنة الهجر، والترحال، و الجذب الصوفي، و من هنا تكون بونة عصية على التوصيف و الوصف .. جاء في الأثر أن عوليس قد مر بهذه المدينة أثناء رحلته العجائبية نحو الشرق، نزل ببرها، و أكل من خيراتها، ورأى صباياها الفاتنات، و هن يدرجن عائدات من الحقول المجاورة، وجوههن تفيض بالبهجة والحبور، رشيقات القدود، موردات الخدود، مشعشعات النهود، يفوح من أعطافهن عطر الأزاهر والورود .. قال عوليس : "**مباركة هذه المدينة ، طوبى لساكنيها، و سيظل أعزب من لا يتزوج من نسائها ..!!** " و تحققت نبوءة عوليس، و دعوته المباركة ، فعنـــابة كالحب لا تدركه إلا عندما تعيشه و تعايشه، و تندمج بتفاصيله، و تؤثث ذاكرتك من بهاء أشيائها، و سر نسائها .. **تسألني أي سحر يفتك بالشعراء؟ إنه السؤال الأبدي الذي لا إجابة عنه** .. نحن مصابون بلوثتها، و قد استوطنت

خيالنا، وامتزجت بدمائنا، و ذهبت بعقولنا وصرنا مجانينها العقلاء، في عنابـــة تجد نفسك محاصرا بالدفء و الحنان، و غبطة الجسد المعطى اليومي الذي يدخلك حلقة الذكر. في النهاية تجدك مسكونا بها، هائما في دروبها، تغني، و تكتب و تسفح ذاكرتك على رمل شواطئها و خلجانها، و تبقي بونة عقدة الشعراء المستحيلة، ولوثتهم التي لا شفاء منها .. بالتأكيد لا أحد، لا أحد يمكنه أن يعرف السر، لكن كلما عشت في عنابة، اندمجت بها، و همت في سموقها، و عذريتها، و تباريحها، فهي لا تعطيك الأمان دفعة واحدة، بل تمارس معك لعبة شد الحبل، عليك أن تكون مسلحا بالصبر، و فن المرواغة، وكما **تقول العامة فعنـــابة:** " **جلابة، خلابة، كذابـــة !!** " و تأكد يا صديقي أن من دخل بـــونة فقيرا خرج منها غنيا، و من دخلها غنيا خرج فقيرا معدما، إنه دعاء وليها الصالح " سيدي إبراهيم " الرابض مقامه عند مدخل المدينة، و هنا ترى أنك واقع بين دعاء عوليس "الفجورى" ودعاء سيدي إبراهيـــم "الحبوري " أي أنك واقع تحت تأثير قوتين متجاذبتين، و من هنا كان الفتك، و القتل والبكاء ..و قيل أنه في الزمن القديم جدا: **كان يحكم عنـــابة ملك جبار متسلط، كان يجتث أثداء الكواعب الأتراب، يخلطها بالزيت و الزعتر، و يلوكها على الريق ، عسى أن تستيقظ فحولته،** وهكذا فأنت ترى أن بـــونة مسكونة بالأساطير، و شوق الذاكرة القلقة لتهشيم هذه الألغاز الممتدة في شعاب الحلم الإنساني الراغب في اكتناه سر هذه المدينة المغروسة في بهاء الماء و سطوته.. و **عنابة** مدينة متوسطية لها جغرافيتها الخاصة، و طقوسها الأخص التي تؤجـــل فرحك، و تدفع بك في تيارات الغواية حد الإندماغ .. و كم نحن مصابون بدوار بحرها و متعة برها، فهذا **حيدر حيدر** الذي عاش فيها أربع سنوات فقط فأبدع روايته الجميلة : "وليمة لأعشاب البحر" التي تمكن من خلالها أن يتحسس نبض المدينة، و فجيعتها، و أن يكشف عن فســـاد الأخلاق، و انهيار القيم الوطنية والثورية التي ضحى من أجلها الشهداء، و أن يرصـــد بتقنية عالية نفسية المواطن العنابي خاصة و الجزائري عامة في فرحهـــا، و نزقها، في انهيارها، و صعودها، في صوفيتها، و عبثيتها .. إني أحس طعم الرماد في فمي، و أرى شجر العناب يشد أحزمته قصد التوغل في التخوم البعيدة .. تاركا إيانا في مهب الريح، و عرس المسغبة .. عنابـــة في المحصلة مدينة مفتوحة على كل الأكوان، و مشمولة بكل الألوان .. إنها المدينة القادرة على احتضان الجميع لأنهم في النهاية سيدخلون طقسها و يذوبون في نسيجها، و يصدحون بحبها، و يلهجون بذكرها، لأنها مجبولة على العشق، و الصبابة، و المحبة العميقة ..

– يقول الروائي الجزائري لحبيب السايح عن محمد ديب : إن الكتاب الكبار و هبهم الله حكمته ولغته ليقيموا بها متنا من المتون التي تحفظ ذاكرة البشرية. فما تقول أنت عن محمد ديب، مولود

معمري، كاتب يسين، رشيد بوجدرة، رشيد ميموني، وحتى الطاهر وطار، و أحلام مستغانمي ؟ وهل وجدت المسلك إلى صك هذا المتن؟

- إن الحديث عن كاتب مثل **محمد ديب**، هو حديث عن مدينة الكتابة و أفقها الكبير، المشرع على كل الأكوان .. **محمد ديب** هو برج الكتابة و مدارها الواسع، الذي ظل مخلصا لها، ذائبا في عشقها، متماهيا في سطوتها، و جبلتها القاسية، التي أوردته المصاعب، و المتاعب، و جعلته يعيش الغربة و القسوة، و الظلم، و خيانة الذين من المفترض أن يكونوا النصير و السند .. ابن **تلمسان** الرائعة الذي يحلو لي أن أسميه " **برج الكتابة** " الذي ظل طوال حياته الصعبة مرابطا في المواقع الأمامية حتى لا يحتل البرج، و تغتال الكتابة من طرف البرابرة، و الطغاة الذين لا يحبون، بل يكرهون معارج الكتابة السامقة، و الشامخة، و المدافعة عن الإنسان، و شرفه و قيمه .. محمد ديب من سلالة الكتاب الكبار، الذين شـــادوا للكتابة الإبداعية برجا عاليا، و مشعا سيظل مشرقا إلى نهاية الكون، و لكنه – للأسف الشديد – عاش غربة قاسية، و وضعا إنسانيا لا يليق به ككاتب من سلالة الكبار، مما جعله يوصي بدفنه في غير الأرض التي كان من الواجب، أن تحتضن جسده، لماذا نهجر عصافيرنا الفصيحة؟ و لماذا نطلق عليها الرصاص؟ و لماذا نحتفـــل بقتلها؟ أ إلى هذا الحد نحن قساة؟! و سيظل **محمد ديب** لامعا ومشعا في سماء الإبداع و الكتابة، لأنه يحمل كل معاني النبـــل ، و السمو، و الرفعـــة إنه برج الكتابة و مدارها الآخر ..

– كاتب ياسين صاحب " نجمة " هذا الكبلوتي المتمرد، و المشاكس، و العنيد، الذي أبدع "نجمة" الرواية الرمز، و المعنى، و المسرحي البليغ الذي انحاز إلى الشعب و طبقاته المسحوقة، والمثقف العضوي الذي ظل طوال حياته محاربا على أكثر من صعيد .. إنه من طينة الكتاب العنيدين، الذين يصعب الحديث عنهم، أو تصنيفهم لأنه الطائر المغرد خارج السرب ..

– رشيد بوجدرة : روائي كبير، مجدد، خبر الرواية و عجنها، و شكلها و وظف فيها التاريخ العربي و الإسلامي و ثراته البليغ، له قدرة موصوفة على الكتابة الروائية، التي لا تكرر ذاتها، هو مستقبل الكتابة الروائية التي تستنـــد إلى الخيال، و التراث، و الحداثة المتحولة ..

– رشيـــد ميموني : مسكون بالوجع و النوستالوجيا، صوت جميل ، كتابته تذهب عميقا في رحم الذات و التاريخ، و الميثيولوجي ...

– مولود معمري : صاحب " الربوة المنسية "، كاتب كبير، خسرته الكتابة، و ربحته الأيديولوجيا ..

– الطاهر وطار : روائي كبير، لا يحسن المحافظة على تاريخه الكتابي و الإبداعي، أحبه أن ينأى عن الكثير من المعارك الجانبية، التي لا تشرفه ككاتب لامع، و روائي مـــؤسس ..

– أحلام مستغانمى : الصوت المجلى في الرواية العربية الجديدة، تكتب ذاكرة الأشياء والمرايا، بحس شاعرة، و حنكة روائي و تجربة من عركته الحياة .. استهدفت كثيرا. لكـــن الشجرة المثمرة هي التي ترمي بالحجارة .. المسلك الذي صك المتن الروائي لكل هؤلاء هـــو: صراع الذات و بؤسها الذي فجر فيهم نبع الكتابة و سحرها، و دفع بهم إلى أرضها الخصبة .. سلاحهم الأثير: حب الكتابة، وصبر المجرب، و تحقيق شوق الأنـــا في التمايز المبني على المعرفة، و البحث، و الإخلاص الجميل ..

– الشجر، الصهد، النار، الماء، الحب، الإرهاب، القتل، قسنطينة / ماذا تثير فيك هذه الكلمات ؟

– الشجـــر: روح الإنسان في تحولاته الدائمة.
– الصهد: وهج الماء و هو يطفو فوق جراحه النازفة.
– النار: لغة المرايا المشروخة في مسيرتها العشقية.
– الماء: الحياة في تحولاتها الرامحة.
– الحب: الفناء المخلص في ذات المحبوب.
– الإرهاب: نبتـــة شيطانية، تسربت إلى حديقة المعنى.
– القتل: كلمة شائنة في قاموس الوقت و اللغة.
– قسنطينة : صوت الذاكرة، و هي تحتلب الخيال، و تذهب في طقسه العجيب، مستجيبـــة لنداء الأبعاد.

– قصيدة الفلوات تطفح بالإيروس، ألكونك تعاني قحطا جنسيا أم تحرك الجنس ليكون الإبداع و المعنى على حد قول إبراهيم درغوثي؟

- الجنس –عندي– مكون حياتي، كما هو عند جميع الناس الأسوياء .. لكن عند المبدع قد تكون الوتيرة عالية، أنا لا أعاني "قحطا جنسيا " بقدر ما أسعى إلى التنبيه من خلال الكتابة الجمالية، إلى أهمية الجنس في حياة الإنسان .. في المجتمعات العربية و الإسلامية، الحديث عن الجنس محكوم بالقسوة البالغة، مع أن كتب التراث العربي و الإسلامي تفيض بالحديث عن الإيروس و متفرعاته إلا أننا في حياتنا العادية، نتحاشى الحديث عن هذا الموضوع الذي هو إكسير الحياة، و وجود الإنسان وتكاثره .. الجنس –عندي– مرادف للإبداع و عامل منشط له، و دعوة مفتوحة و متحولة، لنقول ما نرى أنه الطريق نحو الأماكن المحبوبة و المطلوبة .. الجنس ليس طابوها، بل هو حقيقة قائمة ومتحققة، نحن نمارس الجنس، و نتحدث عنه بطريقة

فيها الكثير من المواربة، و الخداع و الكذب المفضوح .. علينا أن نعمل على نشر ثقافة الجنس في أوساط الناس، بأسلوب علمي بسيط، و أخلاقي قادر على تقريب هذا المكون الحياتي من الناس، و جعله عاديا و طبيعيا .. في حياتنا هناك الكثير من التعقيدات ، التي صعدت في لبس الحياة و غموضها الواضـــــح ..

© مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها.
جامعة محمد خيذر بسكرة، الجزائر.2009

http://labreception.net